أثر
القرآن الكريم والسنة النبوية
في اللغة العربية وآدابها

للدكتور

محمد حسن عبد اللطيف على

الأستاذ المساعد بالكلية

المقـــدمة

الحمد لله الذى علم القرآن خلق الانسان علمه البيـان ، والصلاة والسلام على أفصح البشر سيدنا محمد ﷺ ورضى الله عن آل بيته وصحابته والتابعين ، فرسان البلاغة وأئمة البيـان ٠

وبعـد ، فبتوفيق بالله سبحانه وتعالى أقدم هذا البحث المتواضع عساه أن يكون سراجا مضيئا لأثر القرآن الكريم والسنة المطهرة فى اللغة العربية وآدابها ليوقن بذلك من لم يعرف ويزداد يقينـا من قد عرف ٠

هذا وقد احتوى البحث على هذه المقدمة وأربعة فصول وخاتمـة ٠

تناولت فى الفصل الأول : تأثير الاسـلام فى اللغـة العربية ، حيث كانت فى الجاهلية وعـرة وخشنة ، فرققهـا الاسلام ونماها بحيث اكتسبت الألفـاظ معانى لم تألفها من قبـل كالصلاة والصيام والزكاة والكفر والنفـاق والحج ، وبذلك اتسعت مذاهب بيانها وكثرت الأغراض التى يتسابق اليها فرسان الخطابة والكتابة ، وذكرت فضل اللغة العربية بشهادة غير المسلمين لها ووقفت على اعجاز القرآن الكريم الذى نزل بهـا ٠

وفى الفصل الثـانى : تناولت أثر القـرآن الكريم فى اللغة العربية وآدابهـا فأوضحت أثره فى توحيـد اللغة فى لهجة قريش التى نزل بها من لدن حكيم حميد ٠ ومن أثره أنه

كان سببا فى علوم شتى مثل : النحو لدفع اللحن عنه ، والبلاغة لبيان اعجازه ، واللغة والأدب لتفسير غريبه ، والقراءات لضبط القراءة وحسن التلاوة ، وأنه استحدث ألفاظا لأمور غيبية مثل : الحاقة والواقعة والقارعة والآزفة والغاشية ـ أسماء ليوم القيامة ، وعليين : لأعلى الجنة وسجين لمنزلة فى النار ٠

وجاءهم القرآن بأساليب متنوعة من المجاز والكناية والحكم والأمثال حتى بهرهم عجيب نظمه فخروا لبلاغته ساجدين ٠

وفى الفصل الثالث : تناولت الحديث النبوى مبيناً أنه فصل ما أجمله القرآن وأوضح ما أبهمه ، ووقفت على البلاغة النبوية حيث كان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأروعهم بيانا ، لنشأته فى قريش واسترضاعه فى بنى سعد وهجرته الى بنى عمرو (الأوس والخزرج) وهذه أفصح قبائل العرب ٠

وذكرت أن مصدر هذه الفصاحة الحقيقى من الله تعالى ، فقد ابتعثه صلى الله عليه وسلم الى العرب أولا وهم يقادون من ألسنتهم فلابد أن يكون أفصحهم ليبين لهم أحسن الحديث وهو القرآن الكريم ، فعلم المتعلمين وأدب المتأدبين وهو الأمى الذى لم يكتب خطا بيمين ، حتى قال له على كرم الله وجهه : من أدبك ؟ قال : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ٠

وفى الفصل الرابع والأخير : تحدثت عن أثر السنة المطهرة فى اللغة والأدب : فوقفت على منزلته اللغوية التى

لا تبارى ولا سيما جوامع كلمه ، فقد قال كلمات لم تسمع من قبله مثل :

(الآن حمى الوطيس) أى اشتدت نار الحرب ، وقوله (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ووصفه للمرأة الزانية (بالزمارة) لأنها تشيع أمرها فى الناس كمن ينفخ فى بوق .

ومن أثرها : مخاطبته صلى الله عليه وسلم وفود العرب بلسانها مثل قوله لوفد حمير : (ليس من امبرامصيام فى امسفر) أى ليس من البر الصيام فى السفر .

ومن أثرها : اماتته ألفاظا جاهلية مثل : عم صباحا وعم مساء وجعل مكانها : السلام عليكم . وتغيير يثرب الى المدينة أو طيبة لأنها من التثريب وهو الهلاك .

ومن أثرها : الدراسات اللغوية المختلفة التى قامت لمعرفة الغريب والمجاز فى الحديث النبوى ، وكذلك كتابة السيرة النبوية وسيرة الصحابة ، ومن آثارها أيضا : اقتباس الصحابة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم مما ثرى اللغة العربية وآدابها .

أما الخاتمة ، فقد وقفت فيها على أهم نتائج البحث وذكرت ضرورة الاهتمام بالفصحى لنفهم القرآن الكريم والسنة النبوية وبذلك نفهم ديننا ، لأن اللغة العربية مفتاح لكنوز القرآن الكريم والسنة الشريفة .

هدانا الله جميعا الى سواء السبيل وتجاوز عن خطايانا وأخطائنا ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الدكتور

محمد حسن عبد اللطيف على

الأستاذ المساعد بالكلية

الفصـــل الأول

تأثير الاسلام فى اللغـــة العربية

أشرق الاسلام على العرب وفى هدايته من المعانى ما لم يكونوا يعلمون ، بل فى هدايته ما لا تستطيع اللغة يومئـــذ الدلالة عليه ، فعبر عن هذه المعانى بألفاظ ازدانت بها اللغة نماء ، ومن الواضح أن القـــرآن الكريم والحديث النبـــوى الشريف قد سلكا فى البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ ، ثم ان فتـــح الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة بما نقـــل اليها من المعـــانى العلمية أو المدنية ، ففضل الاسلام على اللغـــة العربية يظهر فى غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها ، وكثرة الأغراض التى يتسابق اليها فرسان الخطابة والكتابة [1] .

فضل اللغة العربية :

واللغة العربية لغـــة الاسلام وليست لغة قوم يتكلمون بها ، ولو كانت كذلك ما شرفت الشرف الذى حظيت به منذ فجر الاسلام والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومن ثم فهى محفوظة بحفظ الكتاب العـــزيز الذى نزل بها (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

شهادات للغـــة العربية :

أولا : من غير المسلمين :

يقول المستشرق « أرنست رينـــان » فى كتـــابه تـــاريخ

---

(١) مجلة نور الاسلام ـ ١٣٥١ هـ / محاضرة للشيخ الخضر حسين ـ

اللغات السامية : من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل . تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها . هذه اللغة ظهرت لنا فى حلل الكمال ، حتى انها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة - لا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى [٢] .

ثانيا : من المسلمين :

شهادة من عالم مستنير يعرفه القاصى والدانى هو الشيخ الامام « محمد عبده » مفتى الديار المصرية الأسبق ، اذ كان يرى اللغة العربية هى أساس الدين [٣] وأن حياة المسلمين بدون حياة لغتهم من المحال [٤] .

لذلك نلقى الضوء على اعجاز القرآن الكريم ، لأنه الدستور أو المنهاج الذى نزل بهذه اللغة تشريفا لها .

اعجاز القرآن الكريم :

انعقد الاجماع على أن القرآن الكريم معجز ، وانما الخلاف فى سبب اعجازه ، وقد حصرت فى أربعة أوجه :

أولها : فصاحته وبلاغته الخارقة التى أعجزت العرب - وكانوا أرباب الفصاحة وفرسان الكلام دون سواهم من الأمم - عن الاتيان بمثله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة

---

(٢) عن مجلة نور الاسلام ١٣٥١ .

(٣) تاريخ الإمام ج ٣ : ص ٢٥٩ .

(٤) المنار ج ٨ : ص ٤٩١ .

مثـله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم فى ريب مما نزلنـا على عبدنا فأتوا بسورة من مثـله) ٠٠٠٠ الى قوله تعالى متحديا لهم (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القـرآن لا يأتون بمثـله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (قل فأتوا بعشر سور مثـله مفتريات) ٠

فلم يزل القـرآن يقـرعهم ويوبخهم وهم فى كل هذا عاجزون عن معارضته، يخادعون أنفسهم بالتكذيب والافتراء بالافتراء وقولهم « ان هذا الا قول البشر » ان هذا الا سحر يؤثر ، وسـحر مستمر ، وافك افتراه ، وأساطير الأولين ، وقولهم مكابرين مع عجزهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، وقد قال لهم الله (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا وسلبهم الله ما ألفـوه من فصـيح كـلامهم ، وان كـان بعض المشركين والمتنبئين قد حاول معارضة القرآن الكريم بكلام رث غث ، ذلك ما ورد عن « مسيلمة الكذاب » فى قوله :

« يا ضـفدع بنت ضـفدع ! نقى ما تنقين ، فـلا المـاء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » [٥] فما حرك كلام مسيلمة فى العرب غير السخرية ، على حين خر بعضهم لبلاغته ساجدين. من ذلك ما ذكره « أبو عبيـد » أن أعرابيـا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد قائلا : سجدت لفصاحته ٠ وسمع آخر رجلا يقـرأ قوله ـ تعـالى ـ عن اخوة يوسف ـ عليه

---

(٥) تاريخ الأدب العربى لأحمـد حسن الزيات ص ٨٦ ط / الخامسة والعشرون ٠

السلام ـ : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام · يعنى أنه كلام الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ · وحكى الأصمعى أنه سمع كلام جارية فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك ؟ فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله ـ تعالى ـ :

(وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) · فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، فالأمران : أرضعيه ، وألقيه · والنهيان : لا تخافى ولا تحزنى · والخبران : أوحينا وخفت · والبشارتان : رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين وغير ذلك كثير وكثير ·

ثانيا : صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا الى مثاله فى جنس كلامهم من نثر ونظم · ولما سمع « الوليد ابن المغيرة » القرآن من النبى ـ ﷺ ـ رق قلبه فجاءه « أبو جهل » منكراً عليه فقال الوليد لأبى جهل معنفا : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى ، والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من ذلك ·

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم قد علمتم أنى لم أترك شيئا ان لا وقد علمته وقرأته وقلته ، والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ·

ثالثها : ما اشتمل عليه من الاخبار بالمغيبات فوجدت كما ورد على الوجه الذى أخبر به كقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) فى وقت كان المسلمون فيه ضعافا . وقوله تعالى (غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) ، وقوله تعالى: (اذا جاء نصر الله والفتح) .

فكان جميع هذا كما قال القرآن : غلبت الروم فى بضع سنين ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا فما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام ، واستخلف الله المؤمنين فى الأرض ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وملكهم الأرض من أقصى المشارق الى أقصى المغارب كما قال - صلى الله عليه وسلم -: « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » [٦] .

رابعها : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة ، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألون النبى - ﷺ - عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا ، كقصص الأنبياء مع أقوامهم، وخبر موسى والخضر، ويوسف واخوته ، وأصحاب الكهف ، وذى القرنين ، ولقمان وابنه ، وأشباه ذلك من الأنبياء وبدء الخلق ، وما فى التوراة والانجيل وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها

---

(٦) زويت : طويت .

ولم يقدروا على تكذيبه ، حتى اليهود والنصارى على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وكثرة سؤالهم له - صلى الله عليه وسلم - وتعنيتهم اياه عن أخبار أنبيائهم - لم ينكروا ذلك أو يكذبوه ، بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كأهل نجران (٧) .

لغة القرآن الكريم :

شغل المسلمون بالقرآن ، فكان دعاءهم فى المسجد ، ونظامهم فى البيت ، ومنهاجهم فى العمل ، ودستورهم فى الحكومة ، فسرى هديه فيهم مسرى الروح فى الجسد ، وأثر فى ألسنتهم وقلوبهم فقوم هذى وتلك ، ووحدهم من لغات شتى الى لغة واحدة هى لغة قريش التى هى الأصل فى لغة القرآن ، لأن النبى ولد فيها وبعث منها ، لأن لغتها تفضل سائر اللغات لعذوبتها ورقتها ، وقبيلتها تشرف سائر القبائل بجوار البيت ، وسقاية الحاج وعمارة المسجد ، ولكنه نزل أيضا بلغة بنى سعد بن أبى بكر لأن الرسول ﷺ استرضع فيهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر .

وجاء فى القرآن بعض ألفاظ من لغات عربية أخرى كقوله تعالى (لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم

---

(٧) راجع جـ ١ : ص ٢٥٨ - ٢٧٢ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض .

بلغة بنى عبس . ثم وقع فيه من غير لسان العرب أكثر من مائة كلمة ترجع الى لغات الفرس والروم والحبشة والعبران والسريان والقبط كالجبت والاستبرق والسندس والقسطاس والزنجبيل وقد صقلها العرب على لسانهم وأجروها على أوزانهم فصارت بذلك عربية [٨] .

---

(٨) راجع تاريخ الأدب العربى احمد حسن الزيات ص ٨٩ بتصرف .

الفصل الثـانى

أثر القـرآن الكريم فى اللغة والأدب

أثره فى اللغـة :

١ ـ للقـرآن الكريم الأثـر الواضح فى توحيد اللغـة ونشرها وترقيتها ، والتقريب بين لهجاتها اذ وحدها فى لهجة قريش ، وبذلك كتب لها السيادة على سائر لهجات العرب · كيف لا ؟ وقـد نزل بها الكتاب العزيز الذى فرضت تلاوته على العرب وعلى كل من أشرق قلبه بنـور الاسلام ، وبذلك حفظت اللغة العربية بحفظ القرآن الكريم : (انا نحن نزلنا الذكر وانا لـه لحافظون) · وأصبحت لغـة الدين والأدب والسياسة ، وقد أحدث فيها علوما جمة وفنونا شتى لولاه لم تخطر على قلب كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه ، والمعانى والبيان لتقرير الاعجاز فيه ، وعلمى اللغـة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله ، والقـراءات لضبط قراءته وحسن تلاوته · والتفسير والحديث والفقه والأصول لاستنباط أحكام الشرع الشريف منه [٩] ·

وأصبح لزاما على كل مسلم أن يتعلم العربية ليعبد الله على علم ، ولقـد برع فى علوم العربية من ليس من أهلهـا

---

(٩) راجع الوسيط فى الأدب العربى وتاريخ أحمد الإسكندرى ص ٩٩ ط : المعـارف ، تاريخ الأدب العربى احمد حسن الزيات ص ٩ ط : نهضـة مصر بتصرف ·

وخير مثـال على ذلك : سيبويه امام النحاة صاحب الكتاب المعروف حتى اذا أطلق الكتاب بعد كتاب الله تعالى فهو على كتاب سيبويه · وكفاه بهـذا شرفا · هذا وما أنشىء النحو وسواه من العلوم اللسانية الا لتقويم الألسنة لتقرأ القرآن الكريم بلسان عربى مبين كما جاء من لدن حكيم خبير ·

٢ ـ تخصيص الذات العليـة ببعض ما لا ينبغى الا له من الصفات والأسماء كلفظ (الرحمن) فقد كانوا يطلقونه على بعض سادتهم ، ومنـه تسميتهم « مسيلمة الـكذاب » برحمان اليمامة ·

٣ ـ اطلاقه كثيراً من الأوصاف على أمور غيبية فجرى ذلك فيهـا مجرى الأسـماء : كالواقعـة والحاقة والآزفـة والقـارعة والصاخة والغاشـية والطامة الكبرى وكلها من أسماء القيامة· ومن ذلك أسماء الغسلين والسجين والعليين والتسنيم التى أتبعها بما يفسرها كقوله تعالى ((وما أدراك ما سجين · كتاب مرقوم · ويل يومئذ للمكذبين)) (٨ ـ ١٠ المطففين) ((وما أدراك ما عليون · كتاب مرقوم · يشهده المقربون)) (١٩ ـ ٢١ المطففين) وقد يفسر بدون وما أدراك كقوله تعـالى : ((ومزاجه من تسنيم · عينـا يشرب بهـا المقربون)) (٢٧ ـ ٢٨ المطففين) ومن هنا أخذ المفسرون أن التسنيم علم على عين فى الجنة · وقد فسر الغسلين بأنه غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الدم والصديد ·

٤ ـ التوسع فى دلالة الألفـاظ ، وذلك بايجاده معـانى لم تكن تعرفها العربية من قبل القرآن مثل : المؤمن ، والمسلم،

والكافر ، والنفاق ، والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والتيمم ، والحج ، والقيام ، والركوع ، والسجود ، والوضوء ، وغير ذلك ٠

فالعرب عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة أوصافا وشرائط بها سمى المؤمن مؤمنا ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفته العرب بمعنى السلم والموادعة ٠ ثم جاء فى الشرع من أوصافه ما جاء فى صفات المسلم ٠ وبحسبى أن أقف قليلا أمام مفهوم كلمة الاسلام فى القرآن فى بضع آيات منه ٠ قال تعالى :

(وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) وقال تعالى : (فقل أسلمت وجهى لله) (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون) (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) فالآيات واضحة الدلالة على معنى الخضوع والانقياد ٠ ومن ثم أطلقت كلمة الاسلام علما على ديننا الحنيف فى قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) هو دين السعادة للناس كافة ٠ دين يكمل الديانات السماوية السابقة ، ويسيطر على ماجاءت به الرسل ٠ قال ـ تعالى ـ : (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (١٠) ٠

وكانت العرب لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر ،

---

(١٠) راجع ج ١ : ص ١١ تاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى شوقى ضيف ط : المعارف ٠

فجاء الاسلام فأطلق على من غطى قلبه وحجبت بصيرته عن نور الاسلام • والمنافق : كان عند العرب من نافقاء اليربوع [١١] ، اذا اتخذت نفقا لها تختبىء فيه بعيداً عن الناس • فلما جاء الاسلام جعله اسما قبيحا لقوم أبطنوا غير ما أظهروه • والفسق : لم يعرفوا فيه الا قولهم فسقت الرطبة : اذا خرجت من قشرها • وجاء الاسلام مبينا أن الفسق هو الافحاش من الخروج عن طاعة الله تعالى ، كما ورد كثيراً فى آيات القرآن الكريم : الصلاة فكانت فى لغة العرب تطلق على الدعاء ، وفى الاسلام تطلق على أنها : أفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، وفيها قيام وركوع وسجود وتشهد ، ولها شروط معينة لا تصح الا بها ، كطهارة الجسد والثوب والمكان واستقبال القبلة وغير ذلك من بقية شروط الصلاة ، وأرى طهارة القلب قبل طهارة الجسد لمناجاة الله تعالى• والصوم عند العرب : الامساك (الامتناع عن الشىء) يقال : صمت عن الكلام : امتنعت عن الكلام • ثم زادت الشريعة الاسلامية النية وحظرت الأكل والشراب ومباشرة النساء فى وقت معلوم بشروط معلومة وضحها الفقهاء • والحج : لم يكن فيه عندهم غير القصد ، تقول : حججت الى مكان كذا : قصدت واتجهت الى هذا المكان • ثم زادت الشريعة مازادته من شرائط الحج وشعائره • والزكاة: لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء • يقال زكا المال أو الزرع : اذا نما وكثر • وزاد الشرع فيها ما زاده من

---

(١١) اسم دويبة •

شرائط ، وعلى هذا سائر أبواب الفقه . فالصواب فى هذا اذا سئل الانسان عنه أن يقول فيه اسمان : لغوى وشرعى ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ماجاء الاسلام به . والتيمم: كان معناه القصد : يممت مكان كذا : قصدته ، ثم عرف فى الاسلام بأنه القصد الى الصعيد الطاهر لمسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ونحوها (١٢) . والجاهلية : اسم حدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل مبعث النبى عليه الصلاة والسلام .

وكان الجهل لدى العرب يطلق على الحمق والطيش والسفه وما يستتبع ذلك من نزوع الى الشر ورغبة فى العدوان . يستبين لنا ذلك من قول الرسول ﷺ لأبى ذر حين عير رجلا بأمه : « انك امرؤ فيك جاهلية » أى شىء من أخلاق الجاهلية قبل الاسلام . وعلى هذا جاء قول شاعرهم « عمرو بن كلثوم » مفتخراً :

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يبغى أحد علينا فنحن أولو قوة بحيث نزيد على اعتداء المعتدى علينا اعتداء فوق اعتداء .

والمخضرم : اسم حدث فى الاسلام ، قيل لمن أدرك الاسلام من أهل الجاهلية : مخضرم ، والمخضرمون من الشعراء : من قال الشعر فى الجاهلية ثم أدرك الاسلام ، فمنهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، ولبيد بن ربيعة . والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن معديكرب ، ومعن بن أوس ،

---

(١٢) فقه السنة للسيد سابق جـ ١ : ص ٦٦ ط : دار التراث بمصر .

والنابغة الجعدى · وتأويل المخضرم : من خضرمت الشيء : أى قطعته يقال خضرم فلان هديته : اذا قطعها ، وعلى ذلك سمى المخضرمون مخضرمين كأنهم قطعوا عن الكفر الى الاسلام ·

والمحرم لم يكن شهر المحرم معروفا فى الجاهلية ، وانما كان يقال له ولشهر صفر : الصفرين ، وكان أول الصفرين من الأشهر الحرم ، فكانت العرب تارة تحرمه وتارة تقاتل فيه وتحرم صفر الآخر مكانه · فكانت العرب تسمى : صفر الأول وصفر الآخر وربيع الأول وربيع الآخر ، وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، فلما جاء الاسلام وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسىء (التأخير) سماه النبى ﷺ شهر الله المحرم ، وجاء فى الصحاح (معجم الصحاح) أن « ابن دريد» العالم اللغوى صاحب معجم الجمهرة قال : الصفران شهران فى السنة سمى أحدهما فى الاسلام : المحرم [١٣] ·

والجوائز : العطايا ، الواحدة جائزة ، قال « ابن دريد» ذكر بعض أهل اللغة أنها كلمة اسلامية ، وأصلها أن أميراً من أمراء الجيوش الاسلامية واجه العدو وبينه وبينهم نهر « ماء كثير لا يمكن السير فيه » فقال الأمير الاسلامى لجنوده : من جاز هذا النهر (من عبر هذا الماء) فله كذا وكذا ، فكان الرجل يعبر النهر فيأخذ مالا فيقال : أخذ فلان

---

(١٣) المزهر للسيوطى ج ١ : ص ١٧٥ وما بعدها نقلا عن ابن دريد فى الجمهرة ·

جائزة فسميت جوائز بذلك [١٤] .

فذلك من أثر القرآن وأستشهدائه علوما فى اللغة وسواها على أيدى علماء جهابذة أبانوا لنا أثر الاسلام فى اللغة العربية . واستخرجوا لنا دورها ونفائسها .

٥ - ابطال القرآن بعض الألفاظ لبطلان معانيها مثل : البحيرة ، السائبة ، الوصيلة ، الحامى ، وهى التى تضمنتها هذه الآية (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) الآية ١٠٣ المائدة .

فالبحيرة : ناقة تلد خمس مرات آخرها ذكر . تبحر أذنها : أى تشق ويحرم ركوبها ولا تطرد عن ماء أو مرعى . والسائبة : هى المسيبة لنذر صاحبها اذا قدم من سفر أو برىء من مرض أن يسيبها فهى حرام كالبحيرة . والوصيلة : الشاة التى تلد ذكراً وأنثى معا ، وقد كانوا يجعلون الذكر لآلهتهم والأنثى لهم فاذا فعلت ذلك قيل وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . والحامى : (الفحل الذكر من الابل) اذا نتجت الناقة من صلبه عشرة أبطن (لقح الناقة فولدت عشر مرات) فيقال : حمى ظهره ، فلا يركب ولا يحمل عليه ويعطى حكم السائبة والبحيرة .

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم :

حجراً محجوراً . وكان هذا عندهم لمعنيين أحدهما عند

---

(١٤) المزهر ج ١ : ص ١٧٢ - ١٧٥ ط : صبيح .

الحرمان اذا سئل الانسان قال : حجراً محجوراً فيعلم السامع أنه يريد أن يحرمه ، والوجه الآخر : الاستعاذة وكان الانسان اذا سافر فرأى من يخافه قال : حجراً محجوراً أى حرام عليك التعرض لى ، وعلى هذا فسر قوله تعالى : (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) : أى يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه فى الدنيا [١٥] .

٦ ـ تهذيب اللغة العربية من الألفاظ الغريبة فأقامها فى هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة ، هذا الأسلوب السهل الممتنع الذى يلذ الآذان حين تستمع له ، والأفواه حين تنطق به ، والقلوب حين تصغى اليه ، هذا الأسلوب الذى استطاع أن يفتح القلوب قبل فتح البلاد ، فاذا الناس يهجرون لغاتهم المختلفة الى لغته الصافية العذبة. يبدو ذلك جليا حين نقرأ فى قوارع القرآن حيث يتحدث عن البعث والحساب والعذاب ، وفى ملاطفاته حين يتحدث عن الرحمة والمغفرة ، أو حين يتحدث الى رسوله ﷺ ، فاننا سنجد الأسلوب رائعا مع سهولة لفظ وسلامة من التكلف .

واذا نظرنا الى قوله تعالى يتوعد المشركين وماينتظرهم يوم يبعثون : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم

---

(١٥) رواه السيوطى فى المزهر عن ابن فارس انظر المزهر ج ١ : ص ١٧٤ .

قيام ينظرون · وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون · ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون · وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين · قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ·

وقارنا بين ذلك وبين ملاطفته عز وجل لرسوله فى سورة الضحى: (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى · وللآخرة خير لك من الأولى · ولسوف يعطيك ربك فترضى · ألم يجدك يتيما فآوى · ووجدك ضالا فهدى · ووجدك عائلا فأغنى · فأما اليتيم فلا تقهر · وأما السائل فلا تنهر · وأما بنعمة ربك فحدث) ·

فلن تجد هنا أو هناك كلمة متوعرة ولا لفظا ضعيفا ، انما تجد روعة الأسلوب دائما ، وعذوبته مع دقة العبارات ، ومع الألفاظ المستحسنة فى الآذان وعلى الأفواه ، انها الألفاظ التى تغذى العقول برحيقها الصافى وتشفى القلوب والنفوس [١٦] ·

٧ ـ اجتماع العرب على لغته من التبديل بسبب

---

(١٦) تاريخ الأدب العربى ـ العصر الإسلامى د· شوقى ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ ط : المعارف بتصرف ·

اختلاطهم بغيرهم من الأمم . وفى هذا يقول الرافعى : انه لولا القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته . ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذى وقع ولم يكن منه بد حتى تنتقض الفطرة وتختبل الطباع ثم يكون مصير هذه اللغات الى العفاء (الزوال) وبذلك تمسى العربية مبهمة فلا تبين وهى أفصح اللغات [١٧] .

أثر القرآن الكريم فى الأدب

لقد صقل القرآن الكريم فحول الأدب وأعلام البيان ، حيث اهتدوا بسناه ، فاكتسبوا من أساليبه فى التعبير وصياغة الحجج ما جعلهم يحذون حذوه ويقتبسون من نوره متى شاءوا ، لأنه كان بمثابة معجمهم اللغوى والأدبى مع اختلاف الأقطار وتباعد الأعصار .

لذلك كان يحرص الخطباء والكتاب والشعراء على ترصيع ألفاظهم بجواهره ودرره ليكتب لها الخلود .

يقول « الجاحظ » : وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن ، فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة .

وقال « الهيثم بن عدى » : قال « عمران بن حطان » : ان أول خطبة خطبتها عند « زياد » - أو عند ابن زياد - فأعجب بها الناس وشهدها عمى وأبى . ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب

---

(١٧) راجع إعجاز القرآن للرافعى ص ٨٣ - ٨٤ .

العرب لو كان فى خطبته شيء من القرآن [١٨] .

ان دل هـذا على شيء فانما يدل على أن القوم فتنـوا بأسلوبه واحكام نظمه . من ذلك :

١ ـ قول « أبى بكر » ـ رضى الله عنه ـ فى خطبته فى الانصار : أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فقال تعالى: (والسـابقون الأولون من المهـاجرين والأنصـار والذين اتبعوهم باحسان) .

٢ ـ قول « عمر » ـ رضى الله عنه ـ فى خطبة الاستسقاء : « اللهم أغثهم بغيـاثك قبل أن يقطنوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

٣ ـ قول « عثمان » ـ رضى الله عنه ـ حين أرتج عليه (صعب عليه الكلام) فى أول خطبة له بعد توليته الخلافة : ان أول كل شيء صعب وان أعش فسـتأتيكم الخطب على وجهها و « سيجعل الله بعد عسراً يسراً » .

٤ ـ وقول « على » ـ كرم الله وجهه ـ من خطبـة له : وأعدوا لليـوم الذى تسـير فيه الجبـال وتشقق السـماء بالغمام . مقتبسا من قوله تعالى : (ويوم نسير الجبـال) وقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام) .

هذه نماذج للاقتباس من القرآن فى النثر ، وفى الشعر نماذج أيضا . حسبنا منهـا :

---

(١٨) راجع ج ١ : ص ١١٨ البيان والتبيين للجاحظ .

١ ـ قول « حسان بن ثابت » ـ رضى الله عنه ـ فى رثاء النبى ﷺ :

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

مقتبسا من قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وقول « حسان » أيضا فى غزوة الأحزاب :

حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا
قتل النبى ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم
ردوا بغيظهم على الأعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم
وجنود ربك سيد الأرباب
وكفى الاله المؤمنين قتالهم
وأثابهم فى الأجر خير ثواب

مقتبسا من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) وقوله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) .

٢ ـ وقول « عمير بن الحمام » ـ رضى الله عنه ـ حين سارع الى قتال المشركين فى بدر ليدخل الجنة :

ركضا الى الله بغير زاد .. الا التقى وعمل المعاد

مقتبسا من قوله - تعالى - : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) .

هذا وقد اقتبس من هذه الآية نفسها « الحطيئة » على ما فيه من خشونة الأعراب وجفاء البدو ، حيث يقول :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقى مزيد

٣ - وقول معن بن أوس :

فما زلت فى لينى له وتعطفى
عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفضى له منى الجناح تألفا
لتدنيه منى القرابة والرحم

متأثراً بأدب القرآن فى قوله :

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) .

ولقد حمل القرآن العرب ، بل فرض عليهم تتبع ألفاظ اللغة الفصيحة من العرب الموثوق بعروبتهم فكان من ذلك أن تجرد ألوف من الرواة يجمعون اللغة وشعرها وحكمها وأمثالها ووصاياها وخطبها ، حتى أسجاع كهانها ، فجمعوا من ذلك مئات الكتب والرسائل وتألفت بذلك مادة الأدب القديم التى صارت بعد أساسا للآداب العربية فى موضوعاتها وأغراضها ومعانيها .

هذا وقد رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان الشعر

فى المقـام الأول من بين فنون الأدب ، حين جعـل الخطبة شعيرة من شعائره فى الجمع والعيدين ، وتقليـداً فى شتى المناسبات من وعظ وحث على الجهـاد وارسال الكتب الى الملوك من أجل الدعوة الى الاسلام [١٩] .

٤ ـ ومما لا يخفى أن الشـعراء فى الاسـلام هجروا الفحش والفخـر الكاذب ، واستوحوا من القـرآن كل معنى كريم ، فمدحوا التقى وهجوا الفاسق ، وفخروا بالاسلام ، وحثوا على الجهاد ودافعوا عن الاسلام وعن نبى الاسلام ، وكان الشعر سلاحا للدعوة الاسلامية على لسان « حسان » وغيـره .

نماذج من أساليب القرآن الكريم

ان المتـأمل فى كتاب الله تعالى يجد فيه سمو البـلاغة ونضارة الأسلوب ، ويرجع ذلك الى أسراره الكثيرة ومزاياه العظيمة . وحسبنا نماذج منه نعرف من خلالها أسرار هذه العظمة الأدبيـة :

١ ـ كشف القرآن عن أصل المساواة فى الجنس البشرى كشفا لم يسبق اليه فى قوله تعالى :

(يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

---

(١٩) راجع تـاريخ الأدب العـربى لأحمد الإسكندرى وآخرين جـ ٤ : ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، ونظرات أدبيـة فى عصر صدر الإسلام د. محمود فـرج العقـدة ص ٣٢ ـ ٣٤ ، والأدب فى الجاهلية وصدر الإسلام د. عبد الحميد الدملوت ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ٠

فانظر كيف أبـان عن المساواة الطبيعيـة التى لا يملك بحال من الأحوال أن يفرق فيهـا الجنس الانسانى كله وهى الخلق من الذكر والأنثى ٠ وكيف وصف الغاية الاجتماعية للنـاس جميعا بأنها (التعارف) لم يزد على هذه اللفظة ٠ ثم تأمل كيف أقام هذا الأساس الأدبى العظيم فيجعل أكرم النـاس المتساوين جميعا فى الحالات الفردية والاجتماعية هو (أتقاهم) أى أعظمهم خلقا ، لا أوفرهم مالا ولا أحسنهم حالا ولا أكثرهم رجالا ، ولا أعلمهم علما ، ولا أقواهم قوة ، ولا شىء من ذلك مما يتفاضل به الناس » (٣٠) ٠

وان كان العـلم يرفع النـاس ، لـكنه العـلم الممزوج بالأخلاق على حد قول حافظ ابراهيم :

لا تحسبن العلم ينفع وحده ٠٠ ما لم يتوج ربه بخلاق

٢ ـ الايجاز والاطنـاب :

لمـا كان للايجاز عند العرب مكانة مرموقة ـ لقلة اللفظ وكثرة المعنى ، وهو محل اعجابهم وميدان سبقهم ـ جاءهم القرآن بكثير منه ، مثـل قوله تعالى :

(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) فقد اشتملت كلمة الاستقامة على تمام الامتثال لكل ما أمر الله به ، والاجتناب لكل ما نهى الله عنه ، ومنه قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر)، (ولـكم فى القصاص حيـاة) ، (خذ العفو وأمر بالعرف

---

(٣٠) راجع إعجاز القرآن للرافعى ص ١٠٩ ـ ١١٠ ٠

وأعرض عن الجاهلين) ٠

وقال « جعفر الصادق » - رضى الله عنه - فى هذه الآية : أمر الله نبيه - ﷺ - بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه ٠

وفى المناسبات التى تقتضى الاطناب ليل النفس اليها جاءهم القرآن بألوان كثيرة منه مثل قوله تعالى فيما حكاه عن قصة يوسف عليه السلام : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ٠ اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ٠ قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً ان الشيطان للانسان عدو مبين) حيث احتوت على ألوان من العظات وأنواع الحب والبغض وبيان ما طبعت عليه النفس من غيرة ٠

وفى سورة الرحمن نجد تكرار قوله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عقب أنواع النعم للشكر عليها ٠ وفى سورة المرسلات نجد تكرار قوله تعالى : (ويل يومئذ للمكذبين) ، ليؤكد اقامة الحجة على المخالفين لأمره ويسد باب الاعتذار عليهم ٠

٣ - الحكم والأمثال وجوامع الكلم :

فى القرآن الكريم كثير من الحكم والأمثال وجوامع الكلم وحسبنا منها :

قوله تعالى : (كل امرىء بما كسب رهين) ، (ولا يحيق

المكر السيىء الا بأهله) ، (لكل نبـأ مستقر) ، (تحسبهم جميعـا وقلوبهم شتى) ، (ما على المحسنين من سـبيل) ، (من يعمل سوءاً يجز به) ، (ألم تر كيف ضرب الله مثـلا كلمة طيبـة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعهـا فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للنـاس لعلهم يتذكرون ٠ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) ، (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبـة أنبتت سـبع سنابل فى كل سنبلة مائه حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) ٠

٤ ـ فى الكناية :

من الكنايات الرائعة قول الله تعالى كناية عن النبى ﷺ (ورفع بعضهم درجات) ، وهذا أبلغ من التصريح باسـمه مع شـدة تواضعه ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أى فلم يقـل سبحانه ورفع محمداً درجات ، لأن الكناية عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبلغ ، ولذا عبر الله سبحانه بها تكريما منـه لرسوله ٠

ومن الكنايات البليغة أيضـا قوله ـ تعالى ـ كناية عن الجمـاع : (أو لامسـتم النسـاء) ، (ولا تقربوهن حتى يطهرن) [٢١] ٠

(وبعـد) :

فقـد احتـوى القـرآن الكريم على الكثير والكثير من الأساليب الرائعة والعبـارات الفـائقة وحقـا ما هو بقول بشـر ! ٠

---

(٢١) نظرات أدبيـة فى عصر صدر الإسلام د٠ محمود فرج العقـدة ص ٣٢ ـ ٣٤ بتصرف ٠

الفصل الثالث

الحديث النبوى

الحديث : هو قول رسول الله ـ ﷺ ـ أو تقريره أو وصفه ، وهو فى المنزلة الثانية من كتاب الله تعالى ، وأقوم طريق الى فهم القرآن لتفصيل مجمله وتخصيص عمومه وتوضيح ابهامه · فالقرآن الكريم مثلا لم يذكر تفصيلا للصلاة أو الزكاة ـ وهما ركنان عظيمان من أركان الاسلام، بل ذكرهما على طريق الاجمال حين قال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ففصل الحديث أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وشروطها ···· الخ · كما فصل القواعد التى يجب أن تراعى فى جمع الزكاة ووجوه انفاقها · وفصل الحديث أيضا مناسك الحج ، كما بين المبادىء الاجتماعية والأخلاقية التى جاء بها الرسول ﷺ ·

لذلك حرص صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ على اتباع الرسول ، لأنه مبين فى أحاديثة الشريفة ولما جاء به القرآن، لكن بعضهم وجل من كتابة الحديث حتى لا يقرأ الناس غير كتاب الله تعالى · ولقد ورد أن « عمر بن الخطاب » ـ رضى الله عنه ـ استشار أصحابه فى كتابة الحديث وطفق يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : انى كنت أردت أن أكتب السنن وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم (٢٢) كتبوا كتبا فأكبوا عليها (أقبلوا عليها) وتركوا كتاب الله

---

(٢٢) أهل الكتاب من اليهود والنصارى ·

تعالى . وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً [٢٣] (لا أكتب شيئا غيره) فترك كتابة الحديث وتبعه كثير من الصحابة يروون الحديث ويكرهون أن يكتبه من يسمعهم كأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأبى موسى الأشعرى وغيرهم . وظل الأمر هكذا حتى العصر الأموى فدون الحديث النبوى على يد « ابن شهاب الزهرى » فى خلافة « عمر بن عبد العزيز » - رضى الله عنه - حين خيف على ضياع أحاديث رسول الله بموت الحفاظ ، كما ورد فى حاشية الزرقانى على موطأ الامام مالك [٢٤] .

هذا وقد كان بعض الأحاديث قد دون فى عهده صلى الله عليه وسلم وقد أقرهم على ذلك ، وخاصة فيما يتعلق بالزكاة حين كان يكتب الى بعض الأقوام يبين لهم فرائض دينهم [٢٥] .

وعن « رافع بن خديج » قال : « قلنا يا رسول الله انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » [٢٦] وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » أنه استأذن رسول الله

---

(٢٣) راجع تقييد العلم للبغدادى من ص ٤٩ وما بعدها ط : يوسف العشن .

(٢٤) انظر الحاشية جـ ١ : ص ١٠ .

(٢٥) انظر فى ذلك مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة لحميد الله ط : لجنة - التأليف والترجمة والنشر .

(٢٦) تقييد العلم ص ٧٢ .

أن يكتب ما يسمع من حديث فأذن له ، وكان يسمى صحيفته التى كتبها عن الرسول الصادقة [٢٧] .

البـلاغة النبـوية

كان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا ، وأروعهم بيانا ، وأصدقهم لهجة ، وأعذبهم منطقا ، وأقواهم حجة . واذا كان العرب المرسـل هو اليهم أئمة الفصاحة وفرسان البيـان - اذ الكلام صناعتهم التى بها يفـاخرون - فلابد للرسول الذى أرسل اليهم - مبلغا عن ربهم ، هادما لباطل عقائدهم ، مفندا لمزاعمهم أن يفوقهم منطقا وبيـانا .

هذا والسفارة بين الخالق والمخلوق تعتمد على عذوبة الكلام والقول الفاتن (الجميل) ليملك النفوس ويقودها الى الصراط السوى ، كما قال تعـالى لموسى وهارون يوصيهما بلين الكلام مع فرعون لعـله يهتدى :

(اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينـا لعله يتذكر أو يخشى) .

ونبى الله « داود » - عليه السلام - آتـاه الله الحكمة ومنحه فصل الخطاب ، فقال تعالى ذاكرا نعمته على داود : (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

« وموسى » - عليه السلام - أيضا طلب من ربه حينما أرسله الى فرعون أن يشد أزره بأخيه هارون لأنه أفصح منه لسانا ، فقال كما جاء فى القرآن الكريم :

---

(٢٧) المصدر السابق ص ٨٤ .

(وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءاً يصدقنى انى أخاف أن يكذبون) ٠

وردءاً : معينا وناصرا ٠ وكانت أكبر أمانيه من ربه وهو كليمه أن يطلق لسانه ويحل عقدته حيث قال : (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) ٠

لكن الله سبحانه وتعالى اكراما منه لخاتم الأنبياء أعطاه بدون سؤال منه حيث قال تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) ٠ على حين تمنى ذلك أخوه موسى - عليهما السلام - حين دعا ربه (رب اشرح لى صدرى) قبل حل عقدة اللسان ، لأن الصدر اذا انشرح انحل اللسان وتهيأت النفس للبلاغ عن الله ٠ فصدر رسول الله - ﷺ - قد شرح فانطلق لسانه مبلغا أبلغ الأمم ، حيث قال هو عن نفسه: « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى سعد بن بكر » بيد أنى : لأننى ، تعليلا لذلك الأمر الذى جعله فصيحا ٠

ويعقب الرافعى على هذا بقوله : وقد نشأ النبى - ﷺ - وتقلب فى أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا فكان مولده فى بنى هاشم وأخواله فى بنى زهرة ورضاعته فى سعد بن بكر ومنشؤه فى قريش ومتزوجه فى بنى أسد ومهاجرته الى بنى عمرو (الأوس والخزرج) من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء فى النشأة واللغة ، ولقد كان فى قريش وبنى سعد (الذين استرضع فيهم) وحدهم ما يقوم بالعرب جملة [٢٨] يعنى مساواة قريش وبنى سعد بكل العرب فصاحة وبلاغة ٠

---

(٢٨) اعجاز القرآن للرافعى ص ٣١٨ ٠

وصف كلامه صلى الله عليه وسلم :

هو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ... استعمل المبسوط (أى الاطناب) فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر (الايجاز فى موضعه) وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السوقى (ابتعد عن الألفاظ الرديئة كيف لا وهو ذو الخلق العظيم ؟) .

لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب .. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه - صلى الله عليه وسلم [٢٩] .

يقول الرافعى : وهذه الفصاحة قد كانت له - صلى الله عليه وسلم - من الله - تعالى - اذ ابتعثه للعرب وهم يتادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة فى البيان والفصاحة، فكان صلى الله عليه وسلم يعلم كل ذلك على حقه كأنما تكاشفه اللغة بأسرارها فيخاطب كل قوم بلسانهم وعلى مذهبهم ثم لا يكون الا أفصحهم خطابا وأبينهم عبارة ، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب ولو عرف لنقلوه وتحدثوا به . ومثل ذلك لا يكون لرجل من العرب الا عن تعليم أو تلقين

---

(٢٩) البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ : ص ١٧ .

أو رواية عن أحياء العرب حيا بعد حى (يطوف فى أحيـاء العرب) حتى يقف على لغاتهم وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتهيأ له شيء من ذلك (٣٠) .

يعنى الرافعى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أميا ـ لم يعلمه بشر وانما علمه ربه الذى اصطفاه لرسالته الخاتمة (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) .

يؤكد هذا قوله عليه الصلاة والسلام لأبى بكر حين قال له رضى الله عنه : لقـد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منـك فمن أدبك ؟ فقـال عليه الصـلاة والسلام : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ولقد أعجب « على » كرم الله وجهه ـ بسحر بيانه فقال له : يا رسول الله نحن بنو أب واحد وتراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه فمن أدبك ؟ فقال ـ صلوات الله عليه وسلم ـ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

قبس من الأحاديث النبـوية

لقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، يلمح هذا كل من أمعن النظر فى أحاديثـه . وحسـبنا نماذج منهـا نستضىء بنورها كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (المسلمون تتـكافأ دماؤهم ويسـعى بذمتهم أدناهم وهم يـد على من سـواهم) . وقوله : (ان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئـون أكنافا الذين يألفون

---

(٣٠) إعجاز القـرآن للرافعى ص ٢١٧ وما بعـدها .

ويؤلفون) · وقوله : (الظلم ظلمات يوم القيامة) · وقوله : (ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) · وقوله : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) · وقوله : (مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل الا طيبا ولا تطعم الا طيبا) · وقوله : (الناس سواسية كأسنان المشط) · وقوله : (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة) · وقوله : (ان من كنوز البر كتمان المصائب) · وقوله : (ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) · وقوله : (احفظ الله يحفظك) · وقوله : (ان من البيان لسحراً) · وقوله : (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) · وقوله : (الخلق عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله) · وقوله : (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) · وقوله : (لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) · وقوله صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه : « اللهم انى أسألك رحمة من عندك ، تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء » [٣١] ·

---

(٣١) الشفاء للقاضى عياض ج ١ : ص ٧٧ وما بعدها ط : دار الكتب العلمية بيروت ·

الفصل الرابع

أثر السنة النبوية فى اللغة والأدب

أولا : للسنة الشريفة تأثيرها فى اللغة والأدب فهى فى المنزلة الثانية بعد كتاب الله تعالى ، ولا سيما فى حكمه وجوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى القدوة الحسنة للأديب ، والحلية التى يزدان بها كلام الكاتب والخطيب ٠

هذا وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضل السبق فى كلمات لم تسمع من قبله ، من ذلك وصفه للفرس السريع بالبحر كما جاء فى فقه اللغة للثعالبى : أن الفرس اذا كان لا ينقطع جريه فهو بحر ، شبه بالبحر الذى لا ينقطع ماؤه ، وأول من تكلم بذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فى وصف فرس ركبه ٠

وقال ابن دريد فى المجتبى قال على رضى الله عنه : ما سمعت كلمة غريبة من العرب الا وقد سمعتها من النبى ـ ﷺ ـ وسمعته يقول (مات حتف أنفه) أى من غير ضرب ولا قتل ، كمن يموت على فراشه ٠

يقول على ـ كرم الله وجهه ـ : وما سمعتها من عربى قبله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٠ قال « ابن دريد » ومعنى حتف أنفه : أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، لأن الميت على فراشه من غير قتل يتنفس حتى ينقضى رمقه فخص الأنف بذلك لأنه من جهته ينقضى الرمق (الحياة) وفيها يقول الرافعى : ان موت الرجل على فراشه من غير حرب

ولا قتـــال ولا أمر يؤرخ به فى الألسنة (أى ذكره بالتعظيم على ألسنة الناس) ٠

كانوا يأنفون له (يكرهونه) ٠ والحتف : الهلاك ٠

فكأن صاحب هذه الميتة انما ماتت أنفته وكبرياؤه ، فلم يرفع الموت أنفه فى القوم ، بل أذله وأرغمه فكان به هلاكه ، لأن حياته كانت فى عزته ، وعزته كانت فى أنفه ، وأنفه هو الذى كبه على الموت [٣٢] ٠

ومن ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (الآن حمى الوطيس) ٠ والوطيس : حجارة توقد العرب النـــار تحتها يشوون عليها اللحم ٠ وفى الأصل التنور ومجتمع النيران واستعير هنا لشدة الحرب ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ٠

قاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى عزة الشاعر ، وكان يحرض عليه ويؤلب النـــاس ضده ، فأسره يوم بدر ثم أطلق سراحه فعاد الى سيرته فأسر يوم أحد وسأل النبى أن يطلق سراحه مرة أخرى ٠ فقال له صلى الله عليه وسلم : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ٠

وقـــوله صلى الله عليه وســـلم : اياكم وخضراء الدمن قالوا وما ذاك يا رســـول الله فقـــال : (المرأة الحسناء فى المنبت السوء) شبه صلى الله عليه وسلم هذه المرأة بالشجرة

---

(٣٢) إعجاز القـرآن للرافعى ص ٣١٧ وما بعـدها ٠

الناضرة فى دمنة البعر (ما اجتمع من فضلات وقاذورات) ، ومنه يفهم وجود الجميل فى المكان القبيح . فيحذرنا - صلى الله عليه وسلم - من اختيار الجميلة التى تعيش فى أماكن الفجور أو التى درجت فى أسرة ليست بذات خلق ودين .

وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى تميمة الجهيمى محذراً: (اياك والمخيلة) فقال يا رسول الله (نحن قوم عرب فما المخيلة ؟) قال - صلى الله عليه وسلم - (المخيلة : سبل الازار) أى الكبر وفى استفهام أبى تميمة عنها وقوله : نحن قوم عرب دلالة على أن النبى - ﷺ - اخترع هذا اللفظ ولم يسبق اليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم (هدنة على دخن) . والدخن : دخان النار ، يريد أن الصلح لم يذهب ضغائن القلوب فبقى منها كما يبقى شىء من النار تحت الرماد يوشك أن يشتعل .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (من اطلع من صير باب فقد دمر) أى من اطلع من شق باب (ثقب) غيره فقد دخل فيه ، لأنه رأى ما بداخله من حرمات وفيه تحذير من الاطلاع على عورات الناس . ويقول أبو عبيد : لم يسمع هذا الحرف الا فى هذا الحديث ويعنى (دمر) بمعنى (دخل) والدخول هنا غير محمود ، ففيه الدمار والعياذ بالله تعالى . ووصفه - صلى الله عليه وسلم - للزانية بالزمارة فى حديث أبى هريرة (أن النبى ﷺ نهى عن كسب الزمارة) . قال

ثعلب : الزمارة : الزانيـة ، لأنها تشـيع أمرها كأنها تنفخ فى بوق ٠

فهذا مما انفرد به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يسمع من أحد قبـله ٠ وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وصف الانسان الحليم الذى يملك زمام نفسه عند الغضب بأنه هو الشديد ، وكان القوم يحسبونه ضعيفا ويعدون الشديد الذى يبطش بالنـاس فأوضح هذا قائلا (ليس الشديد بالصرعة (الذى يصرع النـاس) انما الشـديد من يملك نفسه عنـد الغضب) ٠

ومن هذا القبيل أيضا استعماله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفظ (المفلس) فى غير معناه المعروف لدى العرب ، وذلك فى قوله بأسلوب الاستفهام ليلفت الأنظـار ويشوق الأسـماع (أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع ٠ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه فيأتى وقد شتم هذا وأكل مال هذا وقذف هذا وضرب هذا وسفك دم هذا ، فيعطى هذا من حسـناته وهذا من حسناته ٠ فان فنيت حسـناته قبـل أن يفنى ما عليه من الخطـايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه) ثم طرح به فى النار ٠

هذا ومن جميـل استعاراته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله لأنجشة حادى ابله وفيها النساء : (رفقا بالقوارير) لأن الحادى حين يغنى تسرع الابل وتتمايل الهوادج فيخشى عليهن من الوقـوع على الأرض فينكسرن ، لـذا اسـتعار

القوارير (جمع قارورة) وهى من الزجاج للنساء لرقتهن وضعفهن ·

ومن جميل تمثيله ورائع كلمه قوله - صلى الله عليه وسلم - :

(ان قوما ركبوا سفينة فى البحر فاقتسموا فصار لكل رجل موضع فنقر رجل موضعه بفأس فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع به ما شئت فان أخذوا على يديه نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا) ·

ثانيا : ومن أثر الحديث النبوى أيضا : كتبه التى كان - صلى الله عليه وسلم - يمليها ويبعث بها الى قبائل العرب يخاطبهم فيها بلهجاتهم التى تختلف عن اللهجة القرشية ، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - لوفد من قبيلة حمير : (ليس من امبرامصيام فى امسفر) أى ليس من البر الصيام فى السفر · بابدال اللام ميما ، كما تنطق بذلك هذه القبيلة التى يخاطب وفدها اليه ·

ومنها أيضا ما رواه « الترمذى » عن « عطية بن عروة السعدى » - رضى الله عنه - قال : قال النبى ﷺ : (ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فان اليد العليا هى المنطية والسفلى هى المنطاة ومال الله مسئول ومنطى) بابدال العين نونا فى المنطية (المعطية) وفى المنطاة (المعطاة) ومنطى (معطى) · قال « عطية بن عروة السعدى » فكلمنا - صلى الله عليه وسلم - بلغتنا ·

ثالثا : ومن أثر الحديث فى اللغة والأدب ما ترتب على

روايتــه وتدوينه من تهذيب اللغــة والتقريب بين لهجاتهــا ونشرها خارج الجزيرة العربية ، اذ له الأثر الثانى فى ذلك كله بعد القرآن الكريم ٠

رابعــا : ومن أثره فى اللغة : اماتته ألفــاظا جاهلية مثــل : عم صباحا وعم مساء وجعل مكانها : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ وتغيير اسم يثرب الى المدينة أو طيبة ، لأنها من التثريب وهو الهلاك ٠ ومما أبطــله قولهم للمعرس (المتزوج) بالرفاء والبنين أى بالسعادة والبنين ، فجعــل مكانها : بارك الله لك فى أهلك وجمع بينكما فى خير ٠

خامسا : وكما دعت الحاجة الى فهم القــرآن الكريم على رواية لغة العرب وآدابها كذلك كان الشأن فى الحديث ، وكما قامت للفقهــاء فيــه دراسات مختلفــة لأخــذ الأحكام الشرعية قامت فيه أيضا دراسات لغوية وأدبية لمعرفة مجازه وغريبه ومن أهمها كتــاب غريب الحديث للقاسم بن سلام ، فكان لذلك أثره فى جمع اللغة وتحرير موضوعات الألفــاظ وضبط وجوه الكلام ، ولعلماء البلاغة دراسات فيه أيضا ٠

ومن تأثيره أيضا نشأة الكتابة التاريخية لا فى السيرة النبوية فحسب ، بل أيضا فى تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم فيما نقل عنهم ، ومما لا ريب فيه أن الفضل يرجع الى الحديث فى عناية المسلمين بتاريخ رجالهم على نحو ما عرف فى: طبقات ابن سعد ، وأسد الغابة ، والاصابة ، والاستيعاب وميزان الاعتــدال للذهبى ٠ فالحديث هو الذى فتــح باب

الكتابة التاريخية وهيأ لظهور كتب الطبقات فى كل فن .

سادسا : ومن أثـره أيضا اعجاب الصحابة ببيـانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكثر استشهادهم به واقتبـاسهم منه ولا سيما فى النثر لأن حظ الشعر فى الاقتباس من أدبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يظهر ظهوراً أكمل الا بعد الاتساع فى رواية الحديث وتدوينه ، ومن أكثر الصحابة اقتباسا من كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : « على بن أبى طالب » ـ كرم الله وجهه ـ لمنزلته منه فهو ربيبه وصهره ـ صلى الله عليه وسلم (٣٣) .

نماذج من الاقتبـاس من الحديث النبـوى

لقد أحب الصحابة رسول الله ﷺ حبا ملك عليهم قلوبهم وجوارحهم فتأسوا به تأسى المحب الواله فى أقواله وأفعاله ، حتى غـدا نبراسا لهم يستضيئون بنـوره المستمد من وحى السماء ، فكانوا حوله بمثابة النجوم حول البدر ولقد صدق فيهم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أصحابى كالنجـوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

ومن حبهم لكلامه صلى الله عليه وسلم كانوا حريصين

---

(٣٣) راجع البيـان والتبيين للجاحظ جـ ٢ : ص ١٥ وما بعـدها ط : دار فكر ، المزهر للسيوطى جـ ١ : ص ١٧٢ ـ ١٧٧ ط : صبيح ، تـاريخ الأدب العربى (العصر الإسـلامى) د. شوقى ضـيف ص ٣٤ ـ ٤٠ ط : المعارف ، نظرات أدبيـة فى عصر صدر الإسلام د. محمود فرج العقـدة . ص ٤١ وما بعـدها ط : مصر بتصرف .

على الاقتباس منه · ومن هذه النماذج :

أولا : قـوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (الكيس من دان نفسـه وعمل لمـا بعد الموت ، والأحمق من أتبـع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى)· اقتبس منه أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فىخطبته يوم بويع بالخلافة : (واعلموا أن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور) ·

ثانيا : قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)· اقتبس منه « على» ـ كرم الله وجهه ـ فى وصيته لابنه الحسن رضى الله عنهما : فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ·

ثالثـا : وقوله صلى الله عليه وسلم :

(مالى وللدنيا ؟ وما للدنيا وما لى ؟ والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها) · اقتبس منـه « على » ـ كرم الله وجهه ـ فى شـأن الدنيـا : فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سـبيلا فكأنهم قـد قطعوه · وقوله فى شأن الأمل فىالدنيا أيضا : فانما أنتم ركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالسير ·

رابعـا : وقولهٔ صلى الله عليه وسلم :

(ألا ان الدنيا خضرة حلوة ، وان الله مستخلفكم فيهـا فناظر كيف تعملون)· اقتبس منه « على» ـ كرم الله وجهه ـ فى صدر احدى خطبـه محذراً من الدنيا : أما بعـد : فانى أحذركم الدنيـا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور ·· الخ [٣٤] ·

---

(٣٤) راجع نهـج البـلاغة ص ١٣٤ وما بعـدها ط : الشعب ·

الخاتمـة

وبعـد :

فهذا بحث فى أثر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى اللغـة العربية وآدابهـا · وقفت فيه على الأثـر الطيب والواضح لكل من القـرآن والسنة وبذلت فيه جهداً جهيـداً مخلصا لله ولكتابه ولرسوله ، وقد تبين لى أن اللغة قبلهما كانت خشنة غير مهـذبة ، لكنها بهما سهلت ورقت وهذبت وابتعدت عن الألفاظ المستهجنة ، وأضفيا على بعض الألفاظ معانى لم تكن لها من قبل كالصلاة والصوم والزكاة · وأماتا ألفـاظا منكرة : كالبحيرة والسائبة والوصـيلة والحامى ، ويثرب ، وتجلت فى البحث فصاحة رسـول الله ـ ﷺ ـ فى نطقه بألفـاظ لم تعرفها العربية من قبل مثـل : (الآن حمى الوطيس) أى اشتدت نيران الحرب ، (مات حتف أنفـه) أى على فراشه بلا ضرب ولا قتال ، (من دخل من صير باب فقـد دمر) أى من ثقب باب فقـد أساء ودمر لاطلاعه على عورات من بداخـله ، وكاستعماله الزمارة بمعنى الزانيـة كأنها تنفخ فى بوق ليشيع أمرها فى الناس · وغير ذلك مما يدل على أنه أفصح من نطق بلغـة الضاد ـ صلى الله عليه وسـلم ·

وبذلك ارتقت اللغة العربية وسما أدبها بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة مما كان لهما الأثر الجلى فى قيـام العلوم العربية كالنحو والبـلاغة والأدب وعلم اللغـة والقراءات ،

والعلوم الشرعية كالفقه والأصول والتوحيد والتفسير والحديث ، خدمة لهما ٠

فهذه هى اللغة العربية التى تتغيا كتاب الله وسنة رسوله منهجا وطريقا ٠ فان اتبعنا هذا النهج نكون محبين للغة القرآن ٠

وان سرنا الى غير ذلك نكون بعيدين عن لغة القرآن ، وأعنى اللغة العربية الفصحى ، التى قال فيها شاعر النيل حافظ ابراهيم سنة ١٩٠٣م قصيدته الباكية حرصا على اللغة الفصحى يوم أريد لها وبها السوء ممن يطربون على نغمات أعداء الاسلام ، فحذر الغيورين من خطر الدعوة الى العامية بدلا من الفصحى بحجة ملاءمة العصر ، قائلا على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
ونادیت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب ، وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى
ولدت ولما لم أجد لعرائسى
رجالا وأكفاء وأدت بناتى

أى رمانى أعدائى ومن نهج نهجهم بالعقم ، لكننى ولود وعندى كلمات كالعرائس الحسان أبحث لها عن رجال أكفاء يفهمونها فلما لم أجد لها الكفء وأدت بناتى أى ان كنوزى مدفونة تبحث عن الذى يخرجها (٣٥) ٠

---

(٣٥) ديوان حافظ ابراهيم ط : دار العودة بيروت ٠

ثم يذكر ثراء اللغة العربية قائلا على لسانها أيضا :

وسعت كتـاب الله لفظـا وغاية
وما ضقت عن آى بـه وعظـات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسـيق أسـمـاء لمختـرعات

أى أنهـا وسعت كتـاب الله لفظـا ومعنى وما عجزت ولا أصابها الوهن مع أن القـرآن بحـر خضم مليء بالآيات والعظات ·

قال فيه منزله سبحانه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ·

ولذلك فان اعجـازه فى تلاوته بالعربية ولو ترجم الى غيرها لذهب جمال اعجازه · ولا تستطيع أى لغة أخرى أن تأتى بآياته على الوجه المطلوب ، وحتى ترجمة معـانيه عند الضرورة لا تفى وفاءها بالعربية · فعلى المسلمين جميعا عربا أو غير عرب أن يفقهوا اللغـة العربية ليفهموا كتاب ربهم وسنة نبيهم ويعبدوا ربهم على هدى وبصيرة ·

ونمضى مع حافظ ابراهيم فنجده يصف اللغـة العربية على لسانها قائلا :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

فوصفها بأنها البحر فى أعماقه اللؤلؤ المكنون ، وليتهم

يغوصون لاستخراج هذه الجواهر والدرر فليتنا ويالليتنا ·
فعليكم بلغة القرآن والسنة تفلحوا وتسعدوا ·
هذا وبالله التوفيـق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ·

المصـــادر والمراجـــع

١ ـ الأدب فى الجاهلية وصدر الاسلام· د· عبد الحميد المسلوت ط : المحمدية بمصر ·

٢ ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبـــوية · مصطفى صادق الرافعى ط : التجارية بمصر ·

٣ ـ البيان والتبيين للجاحظ ط : المعارف بمصر ·

٤ ـ تاريخ الأدب العربى أحمد الاسكندرى وآخرين ط : المعـــارف ·

٥ ـ تاريخ الأدب العربى · أحمد حســن الزيات · ط : نهضة مصر ·

٦ ـ تاريخ الأدب العربى (العصر الاسلامى) د· شوقى ضيف · ط : المعـــارف ·

٧ ـ تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده · رشيد رضا ط : المنـــار بمصر ·

٨ ـ تقييد العلم للبغدادى ط : يوسف العش ـ بيروت ·

٩ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى · ط : دار الفكر بيـــروت ·

١٠ ـ الجامع الصغير للسيوطى ط : دار الفكر بيروت ·

١١ ـ الجمهرة لابن دريد ط : المثنى بغـــداد ·

١٢ ـ ديوان حافظ ابراهيم ط : دار العودة بيروت ·

١٣ ـ الشـــفا بتعريف حقـــوق المصطفى للقـــاضى عيـــاض

ط : دار الكتب العلمية بيروت ٠
١٤ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط : الريان بمصر ٠
١٥ - فقه السنة للشيخ سيد سابق ط : دار التراث بمصر٠
١٦ - فى الأدب الحديث عمر الدسوقى ط : دار الفكر بمصر ٠
١٧ - لسان العرب ابن منظور ط : المعارف ٠
١٨ - مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة لحميد الله ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ٠
١٩ - المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ط : صبيح بمصر ٠
٢٠ - المنار لرشيد رضا ط : المنار بمصر ٠
٢١ - نظرات أدبية فى عصر صدر الاسلام د٠ محمود فرج العقدة ط : مصر ٠
٢٢ - نهج البلاغة للامام على كرم الله وجهه ط: الشعب بمصر ٠
٢٣ - نور الاسلام مجلة دينية عن الأزهر ١٣٥١ هـ ٠
٢٤ - الوسيط فى الأدب العربى أحمد الاسكندرى وآخرين ط : المعارف ٠